

عبدالله الشرقاوي

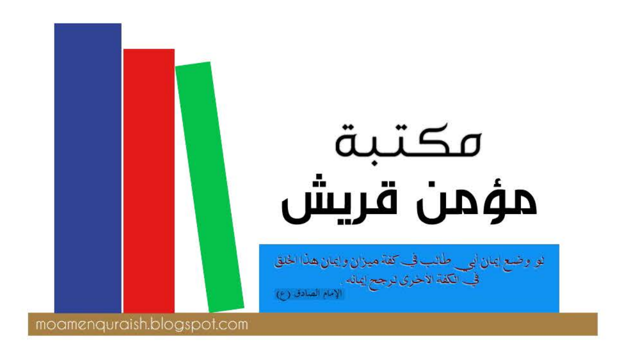
الحسين شهيداً

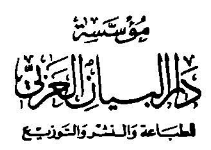
مؤسسة
دار البيان العربي

الحسين شهيداً

عبد الله الشرقاوي

الحسين شهيداً





الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



دار البيان العربي

حارة حريك / خلف بنك بيروت والبلاد العربية - بناية سيتي ط٣.
ص.ب: ٩٧/٦٥ - ٥٧٨٩/١١٣. تلفون: ٨٢١١٤٢ - ٨٢٢٥٥٧.


بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

....

اليك يا ابنة آدم وحواء
يا شريكة الحياة
هبة الله
اهدي هذا الكتاب

مقدمة

•••••••

بسم الله الرحمن الرحيم وعلى بركة الله والصلاة والسلام على نبيه الأمين وآله الميامين .

فالفكرة لكتابة هذه الصفحات راودتني من مدة ليست بالقصيرة ، وكلما إتجهت لأن أعقد العزم للبدء ، يقف أمامي الإمام الحسين (عليه السلام) صرحا شامخا فمن أين أبدأ وأي طريق أتخذ .

هل الجانب التاريخي في حياته الشخصية ؟

أم الجانب الفكري .

أم الجانب العبادي .

أم الجانب الإنساني .

أم أخلاقه وسلوكه .

ام علمه وزهده .

أم شجاعته وشدة بأسه .

أم اباؤه ووقوفه ضد الظلم .
أم أتحدث عن مشكلات عصره متخذا إياه محورا .
أم . . . . أم . . . .
بهذا و غيره راودتني نفسي مرارا . .

وحيث أن الأمام الحسين (عليه السلام) شخصية ليس كالشخصيات الأخرى ، فهو أبدا لم يخص فئة دون فئة (فكلهم بين محبّ) فهو من ذوي القربى الذين قال الله فيهم ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾ وبين من يضعه موضع الصحابة ، وعليه فالنظرتان متفقتان لعمر المسلمين .

ولاننسى أن الإمام الحسين (عليه السلام) لم ينحصر الإهتمام به بين المسلمين ، فهو شخصية عالمية بعالمية الرسالة من جهة وبعالمية الظواهر الإنسانية الكريمة ، وبذا فهو شخصية إذا ما عدت الثورات ، ولازال هذا حتى عصرنا الحاضر فهو ملهم الثورات وأبو الشهداء .

ومصداق ذلك أن ذكراه وسيرته تتعاظم يوما بعد يوم وسنة بعد سنة ، وما أن يأتي عاشوراء حتى يهب العالم

الإسلامي لإحياء هذه الذكرى ، كل على طريقته والهدف واحد وضع ذلك الرجل في موضعه الحقيقي والإستفادة من هذه الذكرى تعظيما لشعائر الله سبحانه وتعالى وذلك بإبراز أبطال الإسلام أصحاب المواقف الخالدة ﴿ ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ .

وأينما تجد من يعرف سيرة هذا الرجل لابد أن يحي هذه الذكرى ليس على مستوى العالم الإسلامي وإنما حتى في أقصى بقاع الأرض في أمريكا وبريطانيا وفي الصين وأقصى جزر أندونيسيا الجنوبية .

لذلك فالفرد يجد نفسه في خضم يلاف وملايين الصفحات كيف له أن يكتب شيئا ، وقد إختطفت الأقلام الصفحات والمجلدات تحكي عن شخصيته وآثاره وأخلاقه وشجاعته وصبره وإبائه وأريحيته وعلمه وورعه وزهده .

وها هي المكتبات مليئة بهذه الكتب . . .

وألهم الإمام الحسين (عليه السلام) ، وحرك الأقلام والعقول ، وألهبها وغذاها بفكر مستنير فألفوا في إتجاهات عديدة . . . ، ما مدى الاستفادة من حركته وثورته ؟ وما هي ماهيتها ؟ فهي إستدراكات وتحليل وتأويل وفلسفة ، وكما أخذ أناس ذلك الإتجاه أخذ البعض إتجاها آخر فقد

كتب خطبا وقصائد .. الخ مدحا ورثاءا وحماسة وتاريخاً ووصايا ووعظاً وإرشاداً .

وأنا لن أدعي أنني أصل الى مرتبة أولئك إنما هي إضافة لصفحات أسطرها عسى أن يكون فيها فائدة .

ولا أنسى في هذا المقام أمرين :

أولاً : نظرا لأن قضية (أو حركة أو مصيبة أو إستشهاد) الإمام الحسين (ع) لها صداها الواسع من جهة ولشخصية الإمام الحسين (ع) من جهة أخرى فقد أطلق عليه عدد من الأسماء وبعضها سيظهر خلال هذه الصفحات كالإمام الحسين ، أبو الشهداء ، سيد الشهداء ، أبو علي ، غريب الغاضرية ، السبط ، سيد شباب أهل الجنة ، شبير الأمة ، ريحانة الرسول (ص) ، أبي الضيم ، أبو الأحرار .

ثانياً : أن الحسين نبراس للإنسانية جمعاء للمتعطشين لصدى الحرية والكرامة .

عبد الله الشروقاتي

ينابيع المودة

في غمرة الزحام للدعوة الاسلامية ، وخذلان المشركين للنبي (ص) في مكة المكرمة ـ البلد الحرام ـ جاء الفرج وجاءت الهجرة[1] من بلد الشرك الى بلد الإسلام بأمره سبحانه وتعالى فاتحة مصاريع الخير والفتح المبين أمام رسول الله (ص) ، وفي الهجرة حدثان عظيمان :

مبيت الإمام علي (ع) في فراش النبي (ص) وفدائيته عنه ، ليضع اللبنة الأولى لأعمال بطولية مستقبلية لها شأنها في ظهور واستمرار كلمة الله العليا .

والحدث الآخر وصوله (ص) في يوم بهيج على أهالي يثرب هي البدر أو أفضل وحيث حطت راحلته يعني ايضاً أن لبنة الإسلام الأساس قد وضعت بأمر الله تعالى .

---

(١) دعا النبي (ص) المشركين في مكة لمدة (١٣) عاماً ، جاءت بعدها الهجرة .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعى لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

وهكذا تلازم هذا الثنائي الجميل تدبير وتوجيه الله سبحانه لنبي الرحمة (ص) فهو وحي يوحى وصبرٌ وفدائية المؤمنين منذ تلك اللحظة ، هذا التعانق على كلمة الله أكبر ، وصارت الكلمة نبراساً وعلماً فوق الأشهاد .

وعندما يكون الحديث عن رسول الله (ص) ، يكون الحديث طويلاً شيقاً ممتعاً فهو ذو الخلق العظيم وهو الرؤف الرحيم بالمؤمنين وهو ينبوع مودة تتفجر جوانبه عطاءاً وخيراً لكل شيء في كل زمان ومكان . . وفي أي مكان هو دوحة ظلالها لم تكن فقط في حياته وإنما باقية الى الأبد يستظل بفيئها المؤمنون والهاربون الى الله تعالى .

ومن هذا الينبوع (ص) أتت الى دار الدنيا سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع) بضعة النبي (ص) والتي رضاها (ع) رضا النبي (ص) وسخطها (ع) من سخطه (ص) ، وترعرعت وشبت بالعفاف والطيبة والإيمان والورع والزهد والتقى وطيب الحديث وحلوه

ودماثة الأخلاق وحسن الرعاية والتربية ووفاء الحقوق وحفظ العهد .. الخ .. إنها ولا شك غَرفة من ينبوع رسول الله (ص) ، ومن أفضل من ذلك المربي الذي أدَّبه ربه فأحسن تأديبه ، ولقد حضنت وحصَّنت كل ذلك ، هذا الحجر الطاهر الوالدة الرؤوفة الحنونة الشجاعة الصبورة السيدة خديجة الكبرى (ع) ، وحملت فوق ذرعيها الزهراء (ع) وهي نفس الأذرع والأكف التي دثرت رسول الله (ص) ، والتي أعطت بلا حساب وآوت دونما عتاب وهجرت في الله المال والأصحاب وجدت نفسها بين طيات الرحمة في بيت أذن الله أن يرفع ويذكر فيه أسمه والتي بفقدها لم يسعه (ص) إلا أن يسمي ذلك العام عام الحزن وحيث انتقلت الى جوار ربها وانتقل الى جوار ربه عقيده وناصره وحاميه ومؤازره في دعوته في مكة والذي عاشت معه شغف العيش في شعب أبو طالب وما أدراك ما ابو طالب هذا الذي لم يكن لمشرك أن يمس رسول الله (ص) ولو بشعرة إنه أبو طالب ، ما إن إنتقل الى جوار ربه حتى قويت شوكتهم ـ أي المشركين ـ على رسولِ الله (ص) من هنا حزن رسول الله (ص) حزناً وظل مسطراً عبر التاريخ مثلاً للوفاء .

في بيت رسول الله (ص) ، ذلك الصغير الحجم

الكبير المعنى أتاهم ضيف برغبة وإرادة من رسول الله (ص) وبمجيء هذا الضيف الخفيف الظل أراده أن يعيش في كنفه وأراده بإرادة الله سبحانه وتعالى أن ينهل من المنهل الصحيح ناصراً للاسلام فآواه وحفظه وأنشأه دون أن يشوب نشأته لغوب أو زيف ـ وأنى ذلك أن يتأتى ـ هذا الضيف هو الإمام علي بن أبي طالب (ع) أول من آمن برسالته وعبدالله مع عبده رسول الله وأول من أفتدى بنفسه نفسه الشريفة وحين خرج الشرك كله قابله الاسلام كله[1] « الإمام علي » ومرةً حمل راية الاسلام رجل يحبه الله ورسوله .

مع كل ذلك تعانق الطيب مع الطيبة والمؤمن مع المؤمنة والفاضل مع الفاضلة والخير مع الخير والحب مع الحب ، في بيت رسول الله (ص) كان وكان . . . وكان أن كان علي لفاطمة وفاطمة لعلي ، رياض نضرة وأزهار باسقة تفتحت في بيت رسول الله (ص) وها هي الأغصان تتلاقى ويتفرع من أصل الشجرة شجرة فرعاً طيباً وهذا الأصل ثابت ثبوت الحق والفرع علواً الى السماء يثبت علو

---

(١) في غزوة الأحزاب .

الحق على الباطل .

ومن بين تلك الخميلة نبت البرعم وخرجت ابتسامة يانعة شكراً للمعطي سبحانه حين بشر رسول الله (ص) بمولد طفل آخر حمل اليه ليؤذن ويقيم في اذنيه « حسين » (شبير هذه الأمة) ومع أخيه الحسن (ع) (سيدا شباب أهل الجنة) ، و (حسين (ع) من رسول الله (ص) ورسول الله منه) كما أخبرنا بذلك الرسول (ص) . . هذا الرضيع تخطى بين يدي رسول الله (ص) ورقى على منكبيه ولثم رسول الله ثغره ونحره وخديه . . . .

والحال هذه فالكل نبع من نبع والكل نبع .

يا حبذا دوحة في الخلد نابتة
ما مثلها نبتت في الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة
ثم اللقاح علي سيد البشر

فالحسين (ع) سليل الحجور التي طابت وطهرت .

وزبدة القول قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ .

بدايات

بعد استشهاد الامام علي (ع)[1] ثم صلح الإمام الحسن (ع) مع معاوية بعد ذلك بعدة أشهر تربع معاوية على كرسي الخلافة وأخذ يدير دفتها كيفما يراه ، وكانت خلاصة ذلك أن أعيدت نعرة جاهلية الى الإسلام ، وهي نعرة القبلية بكل عنفوانها ، كما انتشر الظلم علي ايدي الولاة أمثال زياد بن ابيه والإستئثار والتصرف في بيت مال المسلمين ، كما انتشر في هذه الفترة ما يعرف بوعاظ السلاطين وخدمة كراسي الحكم ، كما إن هذه الفترة معروفة بوضع الأحاديث عن رسول الله (ص) ، كما اتخذ سب الإمام علي (ع) على المنابر[2] طابعاً اجتماعياً ودينياً بعد خطبتي صلاة الجمعة وانتشر البذخ في مركز الخلافة

(١) عام ٤٠ للهجرة ، على يدي عبدالرحمن بن ملجم وهو قائم يصلي الفجر في ١٩ رمضان ، وانتقل الى جوار ربه بعد ليلتين .

(٢) ولا زال كذلك حتى خلافة عمر بن عبدالعزيز الذي ألغى السّب .

والتشبه بالقياصرة ، والكياسرة من وجود ديوان الحكم والحجّاب وخلافه .

وحيث أن معاوية على رأس المسلمين فإن عمرو بن العاص متربع على أرض الكنانة والياً ، في عز أوج كل ذلك خرجت من فيه اصحابه ـ أي معاوية ـ مشورة بتنصيب إبنه « يزيد »ولياً للعهد ، وأخذ البيعة له . . . وهكذا أوصى معاوية ابنه يزيد بضرورة أخذ البيعة وخاصة من ثلاثة نفر عبدالله بن عمر وأن يدعه لمحرابه وصلاته ، وعبدالله بن الزبير فإنه يحب الإمارة ويجب ملاحقته ، والحسين بن علي لأنه لن يرضى بذلك أبداً .

ما أن توفي معاوية[1] حتى نودي بيزيد على خلافة المسلمين وأخذت له البيعة في الأمصار وأخطر واليه على المدينة[2] الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بأخذ البيعة من الحسين (ع) ، حيث كان طريد رسول الله (ص) مروان بن الحكم في المدينة حينئذ .

---

(١) عام ٦٠ هـ .

(٢) من التدابير الأولية التي اتخذها يزيد . . عدم تغيير الوكلاء الموجودين من عهد أبيه تخفيفاً للنقمة .

يزيد

••••••

ارتبط اسم يزيد ارتباطاً سيئاً بالتاريخ الإسلامي عدة مرات منها : .

١ / يزيد بشخصيته : معروف بانحرافه فهو شاب ماجن مائع تجري الأموال بين يديه كما تجري الغواني ، همه الصيد والركض وراء الملذات حتى أن أباه معاوية تردد أول الأمر في جعله ولياً للعهد ، ويكفي أنه لاقى حتفه وهو في مطاردة لهو ، وكافة المسلمين متفقون على عدم أهليته لخلافة المسلمين لشخصه .

والواقع أنه ليس له حظ من الدين أفليس هو القائل متمثلاً بأبيات ابن الزبعري وهو ينكث ثنايا الإمم الحسين بقضيب :

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً   ثم قالوا يا يزيد لاتشل

قد قتلنا القرن من سادتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

٢ / يزيد بعائلته : فهو ابن معاوية زعيم الفئة الباغية[1] ، وجده أبو سفيان الذي وقف بوجه الإسلام حتى آخر لحظة حين أخبرهم رسول الله (ص) بقوله : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ، وجدته هند ، والتي لم يقل دورها عن دور زوجها فكانت سبباً في استشهاد اسد اللهورسوله الحمزة (ع) في أحد وقامت بشق بطنه ومضغ كبده .

٣ / ارتبط اسمه ايضاً بموقعة الحرة بالمدينة المنورة ، عام ٦٢هـ حيث قتل أصحاب رسول الله (ص) وانتهكت الحرم والأعراض وابيحت المدينة لمدة ثلاثة أيام .

٤ / عندما انفصل عبدالله بن الزبير بمكة حاول يزيد أن يقضي عليه ، فحاصر مكة وضرب بالمنجنيق البيت الحرام واعتدى على حرمته عام ٦٤هـ[2] .

هذا هو يزيد باختصار ومن أراد الاستزادة فليراجع امهات كتب التاريخ وآراء فقهاء المسلمين قاطبة .

---

(١) حيث قتل عمار بن ياسر على أيدي أنصار معاوية .

(٢) ثمّ قتل عبدالله بن الزبير ونصبه على الكعبة من قبل الحجاج بن يوسف في عهد عبدالملك بن مروان .

الإمام الحسين : لا البيعة ..

ترتاح القلوب لذكرى المدينة المنورة فريحها عبق بطيب رسول الله (ص) ويُحن اليها تشرفاً وقرباً الى الله جل وتعالى في جوار رسوله (ص) والصلاة في روضته ، هذه هي المدينة المنورة بأزقتها وضواحيها الخضراء ، وصحابة رسول الله (ص) يهرعون الى الصلاة بنداء (الله أكبر) من فيه بلال رضوان الله عليه .

أمان واطمئنان وروحانية وحب في الله وتفان في العمل الصالح ، ارتبط كل هذا بذهنية المؤمن حتى عهدنا الحاضر .

هذا الجو تغير رأساً على عقب فوالي المدينة الوليد بن عتبة قد أعلن أن معاوية قد مات وخلفه أبنه يزيد ، وتجب البيعة له وها هو يصافح الناس رهبةً لا اختياراً حيث اسقط في أيديهم ، لكن الإرادة ضعيفة والاعتراف بالواقع

هو المسيطر في ظل القسوة والظلم التي أشبعوا بها منذ سنين .

شخص واحد من المؤكد أنه مع أتباعه لن يحضر « الحسين » .

آه الحسين ، لقد وصل الخطاب من دار الخلافة بأخذ البيعة ولو بالقوة منه ، وإلا يفصل الذي فيه عينيه ، من هذه اللحظة بدأت مسيرة الخير والجهاد ، لابد من موقف ولابد من مواجهة ولابد من اظهار الحقيقة الحقة ، لقد ابتدأت معالم الدين بالإنكماش . . . فأين رسول الله (ص) ! وتعاليم الاله جل وعلا ؟ واين ابن أبي طالب (ع) ؟ واين الصدع بالأمر والأعراض عن المشركين ؟ هنا في مثل هذه الظروف وقد بلغ السيل الزبى وجب الحزم وعقد العزم .

أرسل والي المدينة الى الإمام الحسين (ع) للحضور فاستجاب وذهب برهط المؤمنين وأوقفهم على باب الوالي مخبراً إياهم حين سماع الأصوات مرتفعة أن يهجموا ، وإن هو خرج فليُعلم أنه لم ولن يبايع .

دخل الإمام (عليه السلام) على والي متعجرف في مظهره يشير بداخله بالقوة التي منحها إياه وضعه والٍ

ليزيد وسيضرب إذن بيد من حديد من لم يبايع ، أو من قد تسول له نفسه بذلك ، وستقطع عنق كل مخالف ، وكان من الحضور ماهو كاف إن يُعد خبثاً كاملاً لوحده « مروان بن الحكم » .

وأمر الوالي الحسين (ع) بالبيعة ، فأطلقها الحسين كلمة حرة أبية قصمت ظهر البعير وظلت خالدة أبد الدهر في مواقف مماثلة (إن مثلي لايبايع سراً) . . . هنا تكلم الإمام (ع) بقوة الحق بمنطق الإيمان وبعبارته تلك فصل الخطاب وأنهى الجواب ، وخرج من المجلس ، والتفت مروان الى الوالي : « إذا فاتك فلن ترى إلا غباراً » .

وأراد مروان بذلك أن لايدع الوليد الحسين (ع) يخرج وأن يقتله عند رفضه ، وكان الحسين (ع) حينها خارج الدار مع رهطه بعد أن وصفه بابن الزرقاء .

والآن مالعمل يا سبط الرسول ؟ .

وما القرار لقد عرضت موقفك فلن تبايع لمثل يزيد فيزيد ليس أهلاً لخلافة المسلمين .

وجاء الجواب :

احزموا الأمتعة وأعدوا الرواحل وجهزوا القوارير راحلون ، راحلون الى بيت الله الحرم الآمن ، هناك يلقى

الأمان حتى للطير والنبات هناك في جوار الكعبة يستقر البال ويطمئن الحال ، في جوار البيت العتيق حيث ملاذ التائهين في الله ، والمشتاقين الى رحمته وعدله .

الوداع الأخير لسيد المرسلين (ص) والصديقة الزهراء (ع) وأخيه الحسن (ع) ومحمد بن الحنفية (ذلك المقعد) ، الوداع ، رحلة الذهاب بلا عودة الى ديار جده الأولى .

خلت الدور واوصدت الأبواب وسارت القافلة . . .

الحسين (ع) عازم على الذهاب الى مكة المكرمة ، أهل بيته في رفقته ، جمال وخيول وهوادج . . . ركبٌ ضَم خيرة الخلق على البسيطة في هذا الآن ، وتدب في السير ويدعو الحسين (ع) ربه ويقرأ قرآنه .

في هذه الفترة الزمنية القصيرة عُلِمَ لدى الناس خبران أحدهما عدم بيعة الإمام الحسين (ع) ليزيد والثانية خروج الإمام (ع) من مدينة الرسول (ص) الى مكة المكرمة ـ وكان هذا الأخير له صدىً واسع . . .

كيف وابن رسول الله (ص) سيكون حاضراً حج هذا العام ؟ فانتشر الخبر وهب الكثيرون استعداداً للحج والحضور الى مكة ومرت الأيام تترى . . وبين صعود

مرتفع والهبوط الى واد ، القافلة في بطحاء مكة . . هاهو البيت والمقام وهاهو الحطيم وتلك زمزم وهاهو الحجر الكريم الأسود وهاهما مرتفعي الصفا والمروة .

هنا يتصل العبد أكثر مع ربه في طمأنينة وروحانية في حمى الباري عز وجل .

بين مكة وكربلاء

استقبلت مكة سيِّدها الإمام الحسين (ع) وهو يدعو « اللهم خذ لي بحقي وقرّ عيني . . رب اهدني الى سواء السبيل » .

هكذا دخل الإمام الحسين (ع) مكة ، واستقر بحرمها الآمن مع العلم اليقين بأن القوم (أتباع يزيد) لن يرضوا بأقل من قتله أو البيعة فأما الثانية فيأبى دينه القويم والصراط المستقيم أن يفعل ، وأما الأولى فقد وضعت الخيار الأفضل أن لايكون ذلـك في حرم الله ، وهو بمحاورته لابن الزبير أفصح بهذه الكلمات عن أمره : (والله لأن اقتل خارجاً منها بشبر أحب الي من أقتل فيها ، ولأن أقتل خارجاً منها بشبرين أحب الي من أن أقتل خارجاً منها بشبر ، وايم الله لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم ، والله ليعتدون علي

كما أعتدت اليهود يوم السبت) ، وذلك جاء تحقيقاً لخطاب يزيد لعتبة أن يأخذه بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة ، والمقولة الأخرى ليزيد : « حتى لو كان متعلقاً بأستار الكعبة !! » .

في ظل هذه المعطيات أخذت الأحداث تتوالى . . فهاهي بلاد الرافدين لك تبايع ، وهاهي كتب القوم تنهال على الإمام (ع) تخبره بمبايعتهم له . . (وأن أقدم إلينا لك مالنا وعليك ما علينا فلعلّ الله يجمعنا بك على الحق والهدى واعلم أنك تقدم على جند لك مجندة وأنهار متدفقة وعيون جارية فإن لم تقدم على ذلك فابعث الينا أحداً من أهل بيتك يحكم بيننا بحكم الله وسنة جدك رسول الله (ص)) .

وفي كتاب آخر : (قد أينعت الثمار فأقدم الينا يابن بنت رسول الله) .

فالخيرة إذن فيما اختاره الله ، وتوافقت ملاحقة يزيد وأتباعه ورغبة أهل العراق في قدومهم عليه ، ليقرر الإمام بعدئذ الخروج من مكة . . .

ولما كان مطلب أهل الكوفة أما أن يأتيهم أو يرسل اليهم رسولاً ، فكان لابد من اختيار رسول ثقة وحجّة . .

فكان مسلم بن عقيل ابن عمه خير أهل لحمل الأمانة ، أرسله الى الكوفة ليكتب اللهما يشاء ، ويأخذ له البيعة ، ومسلم بن عقيل رجل عرف بشدة بأسه وشجاعته وتفانيه في خدمة الإسلام وخدمة آل البيت (عليهم السلام) .

ووصل الكوفة وتمت له البيعة . . .

وهنا لم يغفل يزيد عما يدور في الساحة فأشار سرجون النصراني (مستشار يزيد) عليه بتولية عبيدالله بن زياد الكوفة ، والكوفة الآن في قبضة مسلم بن عقيل الذي كتب للإمام الحسين (ع) كتاباً يخبره فيه ببيعة أهل الكوفة له ، ورأى ابن زياد اتخاذ طريق الحيلة للتغلب على الموقف ودخل الكوفة متنكراً فظنوه الحسين (ع) حتى دخل قصر الكوفة . . وبشتى الحيل والطرق وبالمال وبالترهيب والترغيب حرف أهل الكوفة عن مسلم بن عقيل ، حتى تخلو عنه . . أثناءها أيضاً كان قد قتل هاني بن عروة (والذي كان مسلم يقيم عنده) والقي من فوق القصر .

بقي مسلم بن عقيل وحيداً ، حيث أرسل ابن زياد من يطارده وشجع من يأتي به حياً أو ميتاً فله الجائزة ، وظل يحارب القوم في أزقة الكوفة حتى حلّ الظلام وإذا به على باب امرأة مؤمنة . . وبعد محاورة لطيفة ، ولما علمت

أنه مسلم أدخلته بيتها حين أوصدوا الأبواب ذلك أنها عرفت أنه مسلم مرآة الإمام الحسين (ع) ، ورغم تهديد ووعيد ابن زياد لمن يحميه تفتح له الباب ليدخل وقد خانها ابنها بعد أن أخبرته بوجود مسلم . . وأخذ مسلم من بيتها عنوة في وقت غلب فيه الهوى الحق فاسقطت أسنانه وأمر بحز رأسه[1] والقائه من على القصر وجرّه في الأسواق فكان ثاني شهيد في هذه الثورة أو الحركة المباركة فكان مقتله عاراً والتمثيل به عاراً أكبر وخسة .

كانت رسالة مسلم قد وصلت الإمام الحسين (ع) يخبره فيها بأخذ البيعة وبإمكانه القدوم الى أرض السواد ، فخرج الحسين (ع) من مكة وأطلق عبارته الخالدة عندما سئل (لم الخروج ؟) : « أني لم أخرج أشراً ولا بطراً وإنما خرجت لطلب الأصلاح في أمة جدي » .

ها هي الغاية ونبل المقصود ، الخروج لطلب الإصلاح ولاشيء غير الإصلاح من القمة الى القاعدة . من الوالي الى الرعية . . من القدوة الى المقتدي فحال الأمة لايمكن السكوت عليه . . يزيد متربع على مملكة « هرقلية » . . ورعية رضوا بالذل والهوان ، مغلوب على أمرها فكأنما على

---

(١) قتل مسلم يوم عرفة ٦٠ هـ .

راسها الطير . . .

وسار الركب . . وفي الطريق وصل خبر مقتل مسلم بن عقيل[1] فترقرقت عيناه : « كل ماحكم نازل ، عند الله نحتسب أنفسنا وفساد أئمتنا » .

وقابل الإمام (ع) هذا الخبر بصبر وحكمة وكان الإمام قد أرسل رسولاً[2] الى مسلم ليخبره بخروجه من مكة ، وكان أن اعتقل وأُخذ الى ابن زياد فقتله ، فعلم الإمام عليه السلام كذلك ، في اثناء الطريق بالخبر . . فتلا قوله سبحانه ﴿ **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا** ﴾ .

كان الإمام (ع) قد أمر الركب بالتزود بالماء وحمل كميات أكثر منه وذلك في آخر وقفة فتعجوا ، ولم يكن إلا (لغرض في نفس يعقوب) .

وبينا هم سائرون على بركة الله سبحانه إذ لقيهم جماعة على رأسها الحر بن يزيد الرياحي ، مدججين بالسلاح ومرسلين من ابن زياد كإحدى فرق البحث عن الحسين (ع) واحضاره للكوفة . . وصلت هذه الجماعة في

---

(١) حيث بلّغ مسلم محمد بن الأشعث ، الذي أرسل إلياس بن العباس الطائي الى الإمام الحسين (ع) .

(٢) هو قيس بن مسحر .

حالة شديدة من العطش . . فأمر الحسين (ع) بإروائهم وترشيف خيولهم .

وأديت الصلاة جماعة بإمامة الحسين (ع) ، وجرت محاورة كان نهايتها أن يرسل الحر كتاباً الى ابن زياد يستفتيه في الأمر ، في نفس الوقت لا الركب يرجع مكة ولايدخل الكوفة ، بل بين بين ، وسار ركب ابن رسول الله (ص) يحدوهم الطرماح وهو يترنم بهذه السمفونية فأسر خاطر آل بيت الرسالة :

يا ناقتي لاتجزعي من زجري	وشمري بنا قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر	حتى تحلي بكثير الفخر
الماجد الحر رحيب الصدر	وابن الشفيع من عذاب الحشر
يا مالك النفع معا والضر	أيّد حسيناً سيدي بالنصر
على اللعينين سليلي صخر	وابن زياد العهر بن العهر

وهكذا تنطلق ألسنة الأصحاب عما يجيش في خوطرهم فيأتي شعراً مرتجلاً معبراً عن قوة في العقيدة ورسوخ في الإيمان .

وكلما مرت القافلة بأحد أحياء العرب انضم اليها أناس جدد ، ذلك ظنهم أن الحسين (ع) سيكون له شأن كبير في الكوفة حيث أخذت له البيعة وكانت مطامعهم هي

التي حدثتهم الى اللحاق بالقافلة .

وانتقض الأمر وتغير الحال حين عُلِمَ بمقتل مسلم ، بالإضافة الى ملازمة الحر للإمام الحسين . . هذان الأمران مع علمه بما يكنه الذين التحقوا به إلا أن إباءه كان يرفض أن يغرر بهم ولابد من أن يستجلي الأمر منهم ، ليبقى من يبقى معه على بينه . . . فخطب فيهم بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه (ص) .

« ايها الناس إنما جمعتكم على أن العراق في قبضتي ، وقد جاءني خبر صحيح أن مسلم بن عقيل وهاني بن عروة قد قتلا ، وقد خذلتنا شيعتنا فمن كان منكم يصبر على ضرب السيوف وطعن الرماح ، وإلا فلينصرف من موضعه هذا فليس عليه من ذمام » .

فسكتوا جميعاً ، وتفرقوا ولم يتبعه إلا أهل بيته ومواليه الذين خرجوا معه من مكة .

اراد الحسين (ع) ايضاً أن يضع النقاط على الحروف ويعرف القوم خباياهم فإن كانوا لايهابون في الله أحد فهم باقون معه وإلا فهم مثل أمثالهم ضعفاً أمام الباطل .

ويسير قدر الله سبحانه بهذا الركب حيث استرجع عليه السلام وفي حوار بين الشبل والأسد ، قال الإمام (ع) :

« يا ولدي خفقت خفقة ورأيت فارساً وهو يقول القوم يسيرون والمنايا تسير بهم » .

ومع تأصل العقيدة وفطرة سليمة تساءل الأبن : .

(أولسنا على الحق) .

حيث اراد بتساؤله التقريري أن يفرز من خلاله موقفاً شجاعاً . . .

فرد عليه الإمام (ع) « بلى نحن والله على الحق » .

فأجاب الإبن : (إذن والله لانبالي ، أوقعنا على الموت ، أم وقع الموت علينا) .

وبأمر من ابن زياد جعجع الحر بالركب حتى جاءت اللحظة الحاسمة بأمر الله تعالى فتوقف جواد الامام (ع) فجأة ولم يرض بالمسير فغيّره فكان كذلك .

ها هي أرض العقر . . أعوذ بالله من العقر . . هاهي أرض الغاضرية ، ونينوى وشاطىء الفرات وهذه كربلاء . . أرض كرب وبلاء كما عبر عنها ، هذه هي الأرض التي وعده بها رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع)[1] فأمر الحسين (ع) : « أنزلوا فها هنا مناخ

(١) كان الوصول في اليوم الثاني من المحرم عام ٦١ هـ .

ركابنا ، هاهنا تسفك دماؤنا ، ها هنا والله تهتك حريمنا ، ههنا والله تقتل رجالنا ، ههنا والله تذبح أطفالنا ههنا والله تزار قبورنا ، بهذه التربة وعدني جدي رسول الله » ، فتمثل بهذه الأبيات :

يا دهر أفٍ لك من خليل	كم لك بالإشراق والأصيل
من طالـب بحقـه قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وكـل حـي سالك سبيـل	ما أقرب الوعد من الرحيـل
وإنما الأمر الى الجليل	سبحـان ربـي مالـه مثيـل

فالأمر إذن اليوم كله لله ، الطالب بالحق قتيل وقد قرب الرحيل من دار الدنيا ذاك سبيل كل حي ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ .

على صعيد كربلا

سبحان الله . . هل الإيمان المطلق باللهسبحانه وتعالى تزحزحه وتهزه الأحداث ؟ وهل الفكر يتغير لمجرد مصلحة شخصية ؟ وهل الموقف الثابت يطيح به التهديد والوعيد ؟ وهل تكرار السؤال يغير الجواب ؟ .

يتعلق بتصحيح منهج هؤلاء القوم الذين انحرفوا عن دين اللهوعن هدى سنة نبيه (ص) ، وإنما أرادوا أن يقولوا شيئاً فأدحض حجتهم بالحجة البالغة قرآناً وسنة وسلوكاً ومبدأ (إن كان دين محمد لايستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني) .

النظرة ليست آنية ،إنها في حب الله ولله عِبَر عَبْرَ تاريخ الانسان ، الحسين لم يبايع ولن يبايع ، إذن لن يتحدث مع الحسين إلا منطق القوة منطق السلاح ، منطق الغدر والخيانة ، كل منطق ممكن لديهم ، وكل منطق يقابله من

الإمام صلابة في الرأي الحق .

ما أن نزل (عليه السلام) ارض كربلاء حتى اتخذ القوم خطة جريئة وحاسمة (على حد رأيهم) وكانت استراتيجية للمعركة القادمة :

١ / تجميع ما أمكن من العدد والعدة بالترغيب والترهيب .

٢ / تولية الجيش قادة أشداء لهم مكانتهم بين سواد الناس ووعدهم بالجوائز .

٣ / منع الإمام (ع) من الوصول الى الماء وتعطيشه وصحبه وأهل بيته امعاناً وزيادة في الضغط عليه وذلك بأمر من ابن زياد في خطابه لعمر بن سعد : .

« فأمره ـ أي الحسين ـ أن ينزل على حكمي . . فإن أطاع وإلا امنعه من شرب الماء فإني حللته على اليهود والنصارى وحرمته عليه وعلى أهل بيته » !!! .

٤ / النزول على حكم يزيد وإلا مقاتلة الإمام حتى قتله .

وانقضت الأيام التالية واستطاع أصحاب الإمام خلالها إحضار الماء من النهر إلا أن القوم تأهبوا للقتال وأتو زاحفين في اليوم التاسع من المحـرم فاستمهلهم

الحسين (ع) حتى صباح اليوم التالي . . وكانوا قد ضيقوا الحصار عليه ومنعوه من ورود الماء .

وفي المساء كان الأمر واضحاً وجلياً على عزم القوم على قتال الحسين . . فحدث أصحابه وأهل بيته بأنه هو المطلوب . . فمن اراد أن يرحل فليتخذ الليل جملاً ، فرفض أيٌّ منهم الرحيل وصمموا على القتال دونه .

دارت محاورة لطيفة بين الإمام (ع) وبين السيدة زينب رضوان الله عليها قالت : واثكلاه ، ليت الموت أعدمني الحياة ، اليوم ماتت أمي فاطة ، وعلي أبي ، وحسن أخي ، يا خليفة الماضين وثمال الباقين ، « لايذهبن بحلمك الشيطان » رد عليها الإمام (ع) .

فقالت نفسي فداك يا أبا عبدالله .

قال وفي العين رقرقة : « لو ترك القطا ليلاً لنام » يا ويلتي قالت السيدة زينب واردفت أفتغصب نفسك أغتصابا . فذلك أفرح لقلبي واشد على نفسي ، وأغشي عليها . . فرش الإمام (ع) عليها الماء وقال لها : « يا أخية اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لايبقون ، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته ويبعث الخلق

فيعودون . . . » .

ولما كانت هذه هي آخر ليلة لهم في الدنيا فإن الحسين (ع) وأصحابه قد قضوا تلك الليلة ـ وإن كان هذا ديدنهم في كل آن ـ بين راكع وساجد وقائم وقاعد وكان الأسماع يقرعها الحنين والتهجد وكأني بالجباه تتعفر في التراب خشية الله سبحانه ولعلك تسمع تلاوة الآية الكريمة **﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ، ما كان الله ليذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾** .

اللقاء الأخير

••••••••••••

الزمان : العاشر من المحرم سنة الواحد والستين من الهجرة النبوية .

المكان : صعيد كربلاء .

عاشوراء وما أدارك ما عاشوراء . .

اندلع لسان الصباح وتجلت الشمس على صعيد كربلاء ناشرة أشعتها وملهبة للأرجل رمضاؤها .

نهر الفرات تتدفق مياهه عذبة وتنكسر أشعة تلك الشمس على الواحة عسجداً ، على الشاطىء رجال مسلحون ومعسكر ضم رجالاً قساة قلوبهم ، عدّوا بعشرات الألوف لايعرفون إلا طاعة المخلوق ارضاء لأسيادهم ولملىء جيوبهم .

وعلى الجانب الآخر في امتداد الصعيد وتلعات

كربلاء . . مخيم يضم فيما يضم عدداً معدوداً دون المائة من الرجال والصبية ، حفر خلفه خندقاً أضرمت فيه نار ، هذا المخيم خارجه أولئك الابطال الذين قست قلوبهم على الباطل في مرضاة اللهتعالى ، وداخله سيدات بيت النبوة وكريماته تقودهم بطلة كربلاء الحوراء زينب ، معهم عليل راقد على فراشه الإمام زين العابدين (ع) .

هذه الأطناب التي ضمت سيد شباب أهل الجنة ، حيل بينها وبين الفرات ، وأشتد عطشه هو وأصحابه وأهل بيته فأمر بحفر بئر ولم ينضح ذلك البئر بقطرة .

القوم زاحفون زاحفون ، ونحو الحسين (ع) القصد ، لقد تجمعت كتائبهم ، واستوت صفوفهم ، سيوف ورماح وسهام ونبل وحجارة ، آلة الحرب بقيادة عمر بن سعد ، ومساعدة عدة نفر شبث بن ربعي ، الأشعث بن قيس ، شمر بن ذي الجوشن ، ومولى عمر بن سعد له الراية ، عتاة قساة . . .

إذن فليلقى الإمام الحسين (ع) الحجة ، وهي كذلك فقد ارتدى ملابس النبي (ص) ووضع على رأسه عمامته (ص) وتقلد سيف ذو الفقار وتوجه نحو القوم عل وعسى أن يتعظوا فيعدلوا عن غيهم : .

أيها القوم أنصتوا لي .

فأنصتوا . .

فحمد الله واثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه ثم أضاف :

« أيها الناس انسبوني من أنا ، ثم راجعوا أنفسكم هل يحل لكم قتلي ، وأنا ابن بنت نبيكم . . وابن صفيه ، وأول المؤمنين والمصدق بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله تعالى ، أوليس سيد الشهداء حمزة عم أبي ؟ أوليس جعفر الطيار في الجنة عمي ؟ أو ما بلغكم قول جدي لي ولأخي الحسن هذان سيدا شباب أهل الجنة ؟ وقال : (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب اللهوعترتي أهل بيتي) ؟ فإن صدقتموني وهو الحق وإلا فاسألوا جابر بن عبداللهالأنصاري ، وأبا سعيد الخدري ، وسهل بن سعد الساعدي ، وزيد بن أرقم وأنس بن مالك ، فإنهم سمعوا ذلك من جدي رسول الله (ص) ، فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أثراً أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم ، أنا ابن بنت نبيكم خاصة ، أخبروني ، اتطلبوني بقتيل منكم قتلته ؟ أو بقصاص لكم اجترحته ، أو مال لكم استهلكته ؟ أم على شريعة

بدلتها أو سنة غيرتها ؟ » .

وأردف بعد محاورة قصيرة بين زهير بن القين والشمر بن ذي الجوشن اظهر الشمر خلالها عدم فهمه فكأن آذانهم صُمت ،وعيونهم عميت عن الحق وأردف يقول :

« يا شبث بن ربعي ويا كثير بن شهاب ويا فلان ويا فلان الم تكتبوا إلي أن أقدم علينا لك ما لنا وعليك ما علينا ؟ » .

فقالوا : لم نفعل شيئاً من ذلك !! .

(وكان افتراءً وكان كذباً) .

فقال الحسين (ع) : « سبحان ، الله بلى والله لقد فعلتم . . .

إذا كرهتموني دعوني أنصرف الى ماشئت من الأرض . . » .

فقال الأشعث : انزل على حكم الأمير ابن زياد فما ترى إلا ماتحب .

فقال الإمام (ع) : « أنت اخو أخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل ، والله لا

أعطي اعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد » ، عباد الله ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب ﴾ .

الملحمة والشهداء

نعم .. الآن صمت آذانهم فالنزول على حكم ابن زياد ولاغير ذلك .

فأقبل القوم زاحفون وألقى فيهم زهير بن القين خطبته وأبان لهم فيها ماهم عليه من الخطأ وأن ينصروا ابن بنت رسول الله (ص) . . .

وكانت حسن الخاتمة للفطرة السليمة ولمن يعمل فكره قليلاً ، كانت للحر بن يزيد الرياحي الذي التحق بمعسكر الحسين (ع) واعتذر له حيث إنه هو الذي لقيه في الطريق و لم يخل بينه وبين الرجوع وجعجع به الى كربلاء وباعتذاره للحسين فقد تاب الى الله وقال الحسين (ع) في حقه : « أنت الحر كما سمتك أمك ، أنت حر في الدنيا وسعيد في الآخرة » .

وهكذا خطب الحر في القوم . . .

إلا أن القوم قلوبهم غلف عليها أقفالها . . .

ومرة أخرى زحف القوم ، وقد استأذن أحد الصحابة برمي القوم بعد أن تم استفزازه ، فكره الحسين (ع) أن يكون البادىء .

ثم نادى عمر بن سعد بزويد فأمره بأن يدني رايته ، فأدناها ووضع سهمه في كبد قوسه ثم رمى وقال : اشهدوا أني أول من رمى . . .

ثم توالى الرمي مطراً على الحسين (ع) وأصحابه . . .

هكذا أعلن ابن سعد . لا للكلمة .

أعلنها تجبراً وظلماً وقسوة ، ولكن هيهات ينسى الزمان هذا العمل الشنيع ، لقد سطر بدم خرج من نحر الحسين (ع) وأصحابه . . .

كان الإمام الحسين (ع) في الليلة السابقة قد قسم أصحابه . . .

فالراية حملها العباس أخيه . .

والميمنة زهير بن القين . .

والميسرة حبيب بن مظاهر . .

والقلب هو وأهل بيته (عليهم السلام) . .

وما أن رمى ابن سعد سهمه حتى بدأت ساعة الصفر للمأساة . . فأمر الحسين (ع) أصحابه وأهل بيته أن يتقدموا :

هذه رسل القوم اليكم . .

فتقدم أصحاب الحسين (ع) وأهل بيته الشيخ والفارس والشباب والصبي والطفل والمرأة . . .

لم يكن همّ أصحاب الحسين (ع) إلا خدمته ، والذب عن حرمه ، والدفاع عن بيضة الدين ، فهو الإمام المطاع ، والوقوف أمام الأعداء وقفة لاخوف ولا زعزعة ، يقفون أمامه وقفة فيها الرحمة والشفقة ، أمام قوم صمموا على قتاله حتى يذوق الموت غصة بعد غصة كما قالوا . . فكان شر عملهم منعهم الماء ، وكان خسة وتدنياً عن مستوى الإنسانية . . .

وأما هؤلاء فكانوا خير الأصحاب كما عبر عنهم الإمام (ع) .

وحينما حمي الوطيس ارتجز كل واحد منهم بما يختلج بداخله فكان تعبيرهم دالاً على قوة الإيمان وشجاعة النفوس والإقدام على الحق ولو كان في ذلك قطع

رقابهم . . واستحقوا بذلك أن يكونوا الأحياء الذين هم عند ربهم يرزقون ، فكانت النفوس ايضاً أبية ولابد من تذوق الكلمات وتدبر معانيها ، فظلت كلماتهم حية كأنفسهم ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ .

وضمت مجموعة الشهداء في يوم الطف ـ على قلة العدد ـ جميع الشرائح الأجتماعية :

فقد ضمت أبطالاً صناديد رجالاً من بني هاشم كالعباس بن علي وإخوته الأربعة . . .

وأبطالاً من غير بني هاشم كزهير بن القين . . .

وضمت سادة ومشايخ القوم كحبيب بن مظاهر . . .

وضمت الموالي كجون مولى أبي ذر . .

وضمت النساء كأم وهب . .

وضمت الأطفال كعبدالله الرضيع . .

وضمت الصبية كالقاسم بن الحسن . .

وضمت الشباب كعلي الأكبر . .

بالإضافة الى تواجد عائلة بيت النبوة وموضع الراسلة . . .

هذا الوضوح في هذه القائمة إنما أتى حتى لايدع مجالاً للشك في التقاعس عن النصرة لفئة دون أخرى وإنما الوضع استنفر واستنفذ همّ الجميع .

وها هو موكب الشهداء تباعاً يسقطون جملة وأفراداً .

فكان كما ذكر سالفاً بتعبيرهم بالكلمة لايقل عن تعبيرهم الجسدي فهو خلاصة التفكير والجدية في العطاء بالمناسبة .

فحين برز العباس (ع) ارتجز قائلاً :

أقاتل القوم بقلب مهند أذب عن سبط النبي أحمدِ
أضربكم بالصارم المهند حتى تحيدوا عن قتال سيدي
أني أنا العباس ذو التودد نجل علي المرتضى المؤيدِ

وحين برز حبيب قال :

أنا حبيب وأبي مظاهر وفارس هيجاء وليث قسورُ
وفي يميني صارم مفكر وأنتم ذو عدد وأكثرُ
ونحن منكم في الحروب أصبر أيضاً وفي كل الأمور أقدرُ
والله أعلى حجة وأظهر وفيكم نار الجحيم تسعرُ

وارتجز علي بن الحسين حين برز بقوله :

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي
والله لايحكم فينا ابن الدعي

أما عون بن عبدالله‌بن جعفر فكان قوله :

إن تنكروني فأنا ابن جعفر ‏ شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر ‏ كفى بهذا شرفاً في المحشر

ومسلم بن عوسجة كان يقول :

إن تسألوا عني فإني ذو لبد ‏ وإن بيتي في ذرى بني أسد
فمن بغاني حائد عن الرشد ‏ وكافر بدين جبار صمد

وكان عمرو بن قرظة الأنصاري يقول :

قد علمت كتائب الأنصاري ‏ أني سأحمي حوزة الذمار
فعل غلام غير نكس شار ‏ دون حسين مهجتي وداري

وارتجز زهير بن القين بهذه الأبيات :

أنا زهير وأنا ابن القين ‏ اذودكم بالسيف عن حسين

وهكذا تساقط الشهداء على أرض الطفوف فداءً للإسلام ولممثله الحجة على أرضه الإمام الحسين (ع) وكان قد سبقهم شهداء أمثال مسلم بن عقيل[1] وهاني بن عروة . . .

وبعد جولات وصولات ليذبوا عن الحسين وأهل بيت الرسالة ، ويكون في ذلك مرضاة الله تعالى قتلت منهم

(١) لمزيد من التفاصيل انظر كتاب : ابصار العين في انصار الحسين (ع) .

مقتلة . . .

ها هي الشمس في كبد السماء وأذن مؤذن فصلى الإمام بأصحابه صلاة الخوف .

يا للعجب عدة قليلة وعدد أقل ، وعطش وحريم وأطفال يصمدون أمام هذا الجحفل، وهذا الخضم الهائل من الرجال الذين ركب الشيطان رؤوسهم فأنساهم ذكر الله ، والتي أعماها عن الحق الضعف والمال وتمني الحصول على الجوائز . . .

نعم لقد كان كل واحد من هؤلاء هو مرآة حقة لإبن زياد وسيده يزيد .

فصل جديد :

المأساة في ذروتها

••••••••••••••••••••

واتصلت الأحداث دقيقة بعد دقيقة وبان النقص في معسكر الحسين (ع) حيث قتل أصحابه وأبناؤه وأهل بيته ، حتى لم يبق معه إلا أخوه العباس بن علي (عليهما السلام) ، والذي جهد القوم على فصله عنِ أخيه الحسين (ع) ، إذ ايقنوا أنهم لايقدرون عليهما إلا بذلك ، وفعلاً تم تغلب القوم على الموقف حتى خر العباس صريعاً فحضر الإمام الى مصرعه ، وبان الإنكسار على وجهه ، حيث بقي وحيداً فريدا . . لاناصر ولامعين إلا الله :

الآن انكسر ظهري .

يقول الإمام الحسين (ع) .

« الآن قلت حيلتي ، الآن شمت بي عدوي ، وا قلة ناصراه . . أما من معين يعيننا ، أما من ذاب يذب عن

حرم رسول الله (ص) .

ونادى أصحابه يا فلان ويا فلان . . . ، يا فرسان الهيجا . . مالي أناديكم فلا تجيبون ، أنتم نيام . . . » .

ويستمر الحال . . .

وعلى الساحة الكربلائية ـ أرض الطفوف ـ جثث مكردسة ودماء سائلة وأشلاء هنا وهناك ، واشتد العطش أكثر وأكثر على الحسين وأهل بيته ، فأوصلت زينب رضوان الله عليها طفلاً للحسين اندلع لسانه من شدة العطش مخبرة إياه بأن يأخذه للقوم لعلهم يعطوه شربة من الماء ، فأخذه اليهم اما أن يأخذوه عندهم ليسقوه أو يعطوه شربة من الماء للطفل ، فهو لاذنب له ـ وكان الطفل مثلاً لعدة أطفال داخل الخيام مع أمهاتهم تحرسهم بعين الله السيدة زينب ـ لكن القوم اختلفوا في أمره فأمر قائدهم بفصل الخطاب برميه بسهم وهو على صدر أبيه ، فصرع . . فتلقى دم الطفل بيديه وقذفه الى السماء ودعى :

« اللهم احصهم عددا وفرقهم قددا ، وامنع عنهم قطر السماء وبركات الأرض » .

الحسين فارس الميدان رابط الجأش مطمئن البال بعد كل ما جرى أمامه وبين يديه فقد قدّم هؤلاء الأحباب

قرباناً لوجه الله تعالى . . .

وأخيراً دنت اللحظة الأخيرة ، ذهب ليودع أهله الوداع الأخير فابدل ملابسه بملابس أخرى حتى لايسلبها القوم بعد قتله ـ لكنهم فعلوا ـ وكان الوداع حاراً وأوصى أبنه العليل زين العابدين (ع) . . .

يا ترى من هذه المرة يسرج ويقدم له الفرس وهو السيد الإمام ربما أخته زينب (ع) :

هل رأيت أختاً أقسى قلباً من أختك . . تقدم لأخيها جواد المنية ؟ .

وتوجه الى القوم وحمي الوطيس فقتل الأبطال وجدل الرجال وفرق جموعهم حتى شعر القوم بشدة بأسه ، ووصل المشرعة وأراد أن يشرب الماء بعد أن ملأ كفيه .

« فوالله لو شرب الماء لأفناكم عن آخركم » قال أحدهم .

« كيف تلتذ ببارد الماء وقد هتكت حريمك » صاح رجل آخر .

فرمى الماء من كفه وأسرع نحو المخيم فوجدها سليمة فعلم أنها مكيدة ، ولكنه أيضاً أبى هذه المرة أن يشرب ،

وكيف يسمح لأحد أن يمس بنات الرسالة وفيه عرق ينبض ؟ ابداً لايكون ذلك . . .

لقد أعد القوم ضربتهم الأخيرة أمام هذا الفارس بأن يهجموا عليه هجمة رجل واحد ـ وكان تكتيكاً عسكرياً ـ يهدف الى استغلال (الكثرة في مقابلة الشجاعة) وذلك بعد أن يكونوا فرقاً عليه من كل جهة . . .

واثقل الإمام بالجراحات في جبينه شق بحصى وكبده بسهم مثلث خرج من الجانب الآخر لجسده ، وكانت النبال والرماح أخذت مكانها على جسده ، فخر الحسين من على صهوة جواده ، وظل ساعة مغشياً عليه لايجرؤ أحد على الإقدام للإجهاز عليه ، وقد تجادل القوم في كونه حياً أو ميتاً ومرة أخرى كانت غيرته على الحريم وسيلة اتخذوها لمعرفة ذلك . . فنادى منادٍ أن أحرقوا بيوت الظالمين !! فسمع الحسين (ع) النداء . . فحاول جاهداً القيام فلم يستطع (عليه السلام) واستدلوا بذلك على أنه لازال حياً . . .

وبعد حوار صريح تقدم نهاية شمر بن ذي الجوشن متلثماً كما أعتاد . . وجثى على جسد الحسين (ع) بنعليه كي يتنبه الإمام فيشفي منه الشمر غليله وهذا ينبئ عن

مقدار الحقد المنصب في هذا الرجل ، ولكي يكون القتل أصعب على الحسين (ع) عندما ينتبه .

وهنا سأل الإمام (ع) الشمر عما إذا كانت شفاعة النبي (ص) أحب اليه من جائزة يزيد أم لا ؟ فأفاد بأن الجائزة أحب اليه .

وأمر الحسين (ع) بكشف لثامه فكشفه : فقال الحسين (ع) : « صدق والله جدي رسول الله (ص) » .

فقال الشمر : وماذا قال جدك ؟

قال جدي : « يقتلك رجل أبقع أبرص له بوز كبوز الكلاب وشعر كشعر الخنازير » .

فأخذت الشمر العزة بالإثم فقال : (أهكذا يشبهني جدك ؟) فأكب الإمام (ع) على وجهه وأجهز عليه بحز الرأس الشريف عن جسده . . فصاح منادٍ منهم . . قتل الحسين ، فهجموا على الخيام فأحرقوها وتناهبوا الإبل والخيل والأموال وخرجن النسوة والأطفال مذعورين يبكون ؟ يبحثون عن ملجأ ؟ وأخذت زينب رضوان الله عليها تلملمهم وكان لها دور عظيم (وتلك قصة أخرى) فأنا لله وإنا اليه راجعون .

وأما الحسين (ع) فقد سلب ما عليه .

فسلب السراويل بحر بن كعب .

وسلب النعلين رجل من بني أود يقال له الأسود .

وسلب القطيفة بحر بن كعب .

ورفع رأس الحسين (ع) على الرمح إمعاناً في التشهير كما حملت الرؤوس الأخرى بالمثل وتوزعتها القبائل فيما بينها . . .

وتقدم القوم بخيول الأعوجية فمشوا بها على الأجساد فرضوا عظامها .

ولم تنته الملحمة الكبرى الى هذا الحد فلا زال هذا سبيل الظالمين ومنهجهم فقد سبيت النساء ، ومعهم العليل الإمام زين العابدين (ع) .. الوحيد الذي نجى من سيوفهم لحكمة إلهية .. وأدخلوا على ابن زياد ورحّلوهم الى الشام وأدخلوا أيضاً مجلس يزيد .. وأيضاً هذه قصة أخرى .

وفي كل ثنايا المسيرة والمعركة ظهور المتضادات بين الحق والباطل بين الحقيقة والزيف بين الحسين (ع) وأتباعه وبين قوم يزيد .

لقد سفك دم الحسين (ع) ليبقى صداه عبر السنين

تعبيراً عن الاريحية والكرامة .

والآن مع من الحق .. هل هو مع الحسين ؟

وهل مات الحسين حقاً ؟ أم أنه لازال علماً ؟

وهل مسيرته وحركته توقفت ؟ أم أنها خالدة ؟

وما هي ردود الفعل ازاء هذه الحركة ؟

وهل تم الإعتبار منها ؟

وأسئلة أخرى كثيرة .

جوابها بالتطبيق العملي مباشرة بعد استشهاده (ع) .

قال الله تعالى :

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون ﴾ .

خصائص المسيرة

أريد للحسين (ع) وثورته أن تنمحي أو تنطفي
ولكنها أبت كإبائه (ع) إلا الظهور . . .

خروج الحسين ومقتله كانت ظاهرة قبل أن تحدث ، فها هو رسول الله (ص) يحدث وها هي أم سلمة لديها قارورة التراب التي أمّنها عليها رسول الله (ص) ، إنها نبوءة تزيد عظمة الحركة فوق عظمتها الحقيقية ، ولقد كانت النبوءة وصدقت كما صدقت كل النبوءات التي أخبر بها (ص) .

كما أطلعنا عليها الإمام الحسين (ع) نفسه حين قال لإبنه الأكبر أثناء السير . . . (القوم يسيرون والمنايا تسير معهم) وحين قوله لبطلة كربلاء : « شاء الله أن يراني قتيلاً وأن يراكن سبايا » .

ولما كان الرسول (ص) قد أخبر بقوله (حسين مني

وأنا من حسين) فإن ذلك يعني في أقل المعاني أن قتل الحسين (ع) إنما هو قتل لرسول الله (ص) وأن اهانته (ع) إهانة لرسول الله (ص) ، وان تعذيب الحسين (ع) عيالاته تعذيب لرسول الله (ص) وهم عيالاته ، وبهذا فإنما هو اعتداء على دين رسول الله (ص) الممثل في شخصه (ص) .. دين الاسلام والحرية والكرامة . . .

والمثالين الآتيين يدلان دلالة واضحة وصادقة في حركة الحسين (ع) . . .

الأول : وقوف الحصان الذي ركبه في أرض الغاضرية ، وحتى عندما غيره لم يتحرك الحصان الآخر فهي إذن الأرض الموعودة بإذن الله ، تذكر بوقوف الجمل في مدينة رسول الله (ص) في هجرته حيث تركها (ص) تسير حتى بركت فإنها مأمورة .

والثاني : هو ارتداؤه ـ أي الحسين ـ لملابس النبي وعمامته وتقلده سيف ذي الفقار حين خطب في الناس في عاشوراء ، إمعاناً في إظهار كونه من رسول الله (ص) كما يقف في خطابه لأعداء الإسلام .

وعندما تكون الحركة تصحيحية فلابد من إعلان

مبادىء الحركة والأسس التي ترتكز عليها . . .

ومن يعرف الحسين (ع) ونشأته يدرك تماماً ماتعنيه المبادىء التي يرتكز عليها ففي المقام الأول نشر التعاليم الإسلامية . . .

وفي المقام الثاني الإبقاء على هذه التعاليم حية . . .

وفي المقام الثالث إفشاء موقف الباطل المضاد الذي يتخذ الإسلام غطاءاً بل ويحاول هدم أركانه . .

ولما كانت القيادة دائماً نبراساً لطبيعة علاقة الشعوب فلابد من تأثير هذه القيادة على هذه الشعوب بشكل وآخر ، كأن تغرس فكرة باطلة بالتوجيه والتعليم والخطابة في المساجد مثلاً ، واستخدام تلك القيادة وسائل وأناساً لهم باعٌ جريء في اصدار الفتاوى التي تؤيد هذه الفكرة والتذرع بذرائع لم ينزل الله بها من سلطان كحرمة القيام أمام الظلم لعدم الرغبة في شق عصى المسلمين . . . وهكذا . . .

ولقد كان يزيد من أولئك . . فقد أصبح أميراً بطريقة غير مشروعة (وراثية) من جهة ، وهو ليس كفوءاً في شخصيته من جهة أخرى ، ومن جهة ثالثة تطبيقاته العملية الخارجة عن الإسلام (وربما يدرك ذلك خلال

سني حكمه) .

وجاء الحسين (ع) ليعلمه مبادءه فقد آن الأوان وطفح الكيل ومبادءه ليست وليدة فكرة إنها ذاتها تلك التي أتى بها رسول الله (ص) ، وجاهد لكي يخلق شخصيةً إسلامية مدة ثلاث وعشرين عاماً وجاهد من بعده أصحابه الخلَّص تابعين لأثره (ص) .

نعم كان واضحاً جهاد رسول الله (ص) ضد قوم يختلفون عقائدياً معه وكان القصد إعلاء كلمة الله ، ولكنه (ص) جاهد أيضاً المنافقين ، وكما سار على أثره الإمام علي (ع) فجاهد المارقين والناكثين والقاسطين وهم يدّعون الإسلام وبنفس العلة تعلل هؤلاء ـ يزيد وأتباعه ـ فكان إعلان الحسين (ع) عدم البيعة منذ البداية (أي عدم وضع كفه في كف يزيد) إقراراً لما عليه يزيد نفسه ، وهو إقرار لما سيؤول اليه إضافة الى ماهو عليه حال المسلمين . . .

لا وألف لا ، فكلمة لا إله إلا الله لاتعرف المحاباة ولا القرابة ولا العرق . . .

لاتعرف موضوع الأمر الواقع إذا كان هذا الواقع إطفاء نور الله . . .

وهو ـ أي الحسين ـ لم ولن يبايع مثل يزيد ، وكانوا سيرضون لو أنه قبل حتى سراً ، وكانوا سيرضون بسكوته ـ أي رضاه وعدم معارضته ـ ، ولكنه قال : « إن مثلي لايبايع سراً وهو أولى أن لا يكون جهراً » .

ومكة في الاسلام بها أول بيت وضع للناس وأذن إبراهيم (ع) يوم الحج الأكبر ﴿ **وأذان من الله يوم الحج الأكبر ان الله بريء من المشركين** ﴾ وهي البلد الحرام الآمن يأمن فيها كل من أوى اليها على الاطلاق ، الطير والنبات والانسان ، والكعبة المشرفة هي القبلة تولى الوجوه شطرها عند كل صلاة . .

مكة عند الحسين (ع) هي كذلك كما أرادها الله سبحانه وتعالى ، ولَمَ لاتكون مرآب الخائفين والهاربين الى الله ، وقد نزح الحسين بعلم اليقين أن القوم لن يتركوه حتى في هذا المقام فلم يرتضِ أن يستحل البيت الحرام بسببه ؟ حتى مع كونه على الحق حيث لاحرمة لدى الآخرين للبيت الحرام . . وعليه فقد خرج لطلب الاصلاح في أمة جده كما عبر هو عن هذا الخروج . . .

ولقد أثبتت الوقائع التاريخية أن جيوش يزيد حاصرت مكة وضرب البيت العتيق بالمنجنيق حيث كان داخل مكة

عبدالله بن الزبير[1] .

وكان الحسين (ع) في كل مواقفه أثناء مسيرته في كل جلسة ومناخ يلقي حديثاً ليملي الحجة وراء الحجة فلا لوم بعد الآن لأحد بعد أن ظهر الحق وأبان الحقيقة . . فعند خروجه من مكة خطب في الناس وأبان كيف يكون الإمام ، وأوضح أنه خارج لطلب الإصلاح كما جاء آنفاً ، وأعلن بأنه من يريد أن يذهب في هذا الطريق ويبذل مهجته فهو خارجٌ غداً ، ومرة أخرى عند مالقيه الحر فخطب في الأعراب حتى لايكونوا مغرراً بهم ، وخطب في أصحابه ليلة عاشوراء في أن يتخذوا الليل جملاً إن أرادوا السفر ، وخطب في القوم يوم عاشوراء فلا مناص ولاهروب إلا لمن ارتضى طريق الذلة والهوان ، الطريق المؤدي الى نار جهنم . . .

فكان بيان الإمام (ع) لهم قاعدة للأجيال وكان هذا الأسلوب الإسلامي الرائع بأن يعطي أولاً النصح لعل وعسى أن تجد الكلمة طريقها وبتقديمه الحجة طرق في أسلوبه الخطابي بأن أبان مكانته من رسول الله (ص)

---

(١) وبعد وفاة يزيد استمر الحال على يدي الحجاج حتى قتل عبدالله بن الزبير وصلبه على جدار الكعبة وأمه أسماء تنظر ، والقصة مشهورة .

والإسلام وها هم خيرة الصحابة ـ إن أراد أحد سؤالاً فليسأل ـ . . وذكرهم بالقرآن والسنة والحق والباطل والوعد والوعيد ، ثم تحداهم في خطبة عاشوراء بأن يعطوه سبباً واحداً لمقاتلته غير طلب يزيد . . .

كما أن الأسلوب يتضح في موقف الدفاع فمثله الأعلى رسول الله (ص) الذي يتخذ دائماً في غزواته موقف الدفاع فهذا هو السبط لم يبدأ في قتال القوم إلا حين أتت رسلهم نبالاً الى معسكره . . .

من صور التضحية

الواقع أن مجتمع الصحابة لم يكن راضياً عن ولاية يزيد على رقاب المسلمين في المدينة أو مكة أو السواد من العراق .

وإن أخذ بعضهم جانب المهادنة كعبدالله بن عمر ، فإن البعض الآخر وقف معلناً رأيه كعبدالله بن الزبير . .

وأما أمثال حبر الأمة ابن عباس رضوان الله عليه والرجل الفاضل محمد بن الحنفية رضوان الله عليه ، فكان رأيهم رأي الحسين وقد منعهم العذر من الخروج مع الحسين (ع) وأخذتهم الشفقة على الإمام الحسين تماماً كأصحابه الذين قتلوا بين يديه ولأنه أخبرنا (ع) حين توديعه أخاه نصحت فأشفقت .

وظل ابن الحنفية يتابع (فيما هو يرعى فاطمة بنت الحسين (ع) والتي كانت عليلة) أخبار أخيه أولاً بأول ،

حتى علم بخبر مقتله فتحولت المدينة كلها الى مجالس عزاء على أثرها ولم يهدأ غليانها حتى اعتدى عليها جيش يزيد فكانت واقعة الحرة . . .

والرسول الكريم الذي لايحتاج الى وصية « مسلم بن عقيل »قمة الإيمان حتى في أدق الظروف والتي يمكن أن تغير وجه التاريخ ، ولقد ضرب مثلاً رائعاً بعدم قتل النفس إلا بالقصاص والذنب ، ولقد ظفر بابن زياد مرةً في قدومه ، فأبى أن يجرد سيفه وأن يغدر به وهو ضيف وأبى أن يحز رأسه ولم تثبت إدانته ، هذا لتذكره قول رسول الله (ص) ، مع أنه عرف بالشجاعة والصبر ، فكان الموقف شجاعاً بطولياً ، لم تنحدر به العاطفة ليرتكب جريمة في حق أحد دون أن يرى المبرر الإسلامي لذلك ، ولم تأخذه نظرة الملك المستقبلية ، فقدومه لإقامة شعائر الإسلام لا إقامة ملك ودولة بغض النظر عن التعاليم الإسلامية .

وهذا التركيب الطيب في الإنسان ثبت عند مسلم ولو لم يكن جديراً بذلك لما كان رسول الحسين (ع) .

في مقابل ذلك .. هذه الألوف (أهالي الكوفة) ينحسرون عن مسلم بترغيب وترهيب في أمسية واحدة أمام

القصر ، والذي داخله عبيد الله وزمرته ،وفي مقابل ذلك أيضاً يقتل مسلماً أبشع قتلة ويلقى به من فوق القصر ويجر في الأسواق شهيداً . .

ولما كان الجو السائد في الكوفة مقتضياً ثلاث حالات :

١ / الترغيب والترهيب بالتخلي (من جهة ومحاربة من جهة أخرى) لمسلم بن عقيل .

٢ / رصد الجوائز لمن يحضر مسلماً ، وعقاب من يحارب معه وتهديد من يأويه أو ينصره .

٣ / محاربته الفعلية في أزقة الكوفة .

وحيث اسدل الليل ستاره ، والرجل منهك ومتعب وعطشان ولا مأوى لديه ، وأعداء يحدقون به من كل صوب يبحثون عنه في كل حدب .

ويأتي دور طوعة في ذلك الظرف العصيب (والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف) وسطرت بايوائه صفحة ناصعة في التاريخ بكرامة عالية ، امرأة فذة في ذلك المجتمع الذي خلا من ذرة تفكير وذرة رحمة ،وابن زياد بالمرصاد لكل من يقدم المساعدة لمسلم .

لم لا تكون (طوعة) صاحبة الخلق العالي والأنفة ، فسألت الرجل ـ أي مسلم ـ أنه لايجوز له أن يقف على

بابها ، لأنه لا يجوز أن يقف الرجل على باب حرة .

مسلم رسول الحسين (ع) ، مسلم عين الحسين (ع) ، مسلم متلهف لمأوى يؤدي صلاته ، المرأة اخترقت كل معايير العرف لتدخل في معايير التضحية الذي يمليه عليها واجبها الشرعي ، عرفت مسلماً ، وعرفت كيف تواجه الموقف إما طاعة الأمير ابن زياد ، أو إرضاء الله سبحانه وتعالى بإيواء رسول الحسين (ع) (الأمير قُبل سويعات) يمثل خليفة الله في أرضه وكان أن آوت مسلماً في دارها . .

ولم تدرك (بعطف الأمومة)أن الثدي وحده لايمكن أن يرضع الأخلاق « فصدر المؤمن صندوق سره » أخبرت ابنها ، فهرع الى سيده وكانت القضية ففوق كل ما عمل أفشى السر ، وهو على عكس موقف هاني بن عروة رضوان الله عليه ذلك الشيخ الجليل الذي أحضر الى مجلس ابن زياد ولم يقبل ان ينبس ببنت شفة لإخبارهم بموضع مسلم فكان المصير المؤكد بين يدي هؤلاء وأمثالهم هو قطع الذي فيه عيناه وكان شهيداً .

تأملات في حركة الإمام الحسين (ع)

لقد ضرب الإمام الحسين (ع) مثلاً رائعاً ـ وكله روعة ـ في المواساة والمساواة .

فلما جرد سيف الحق كان الجميع ـ أنصاره وأهل بيته ـ يذبون عن دين الله ويذوذون عن حرم رسول الله (ص) ، لافرق بينهم في الساحة كلّ يسعى للشهادة ، هذا السعي كان معلوماً منذ الليلة السابقة لعاشوراء عندما أخبرهم عليه السلام بوضوح وصراحة بأن القوم إنما يريدونه هو بعينه ، فمن أراد أن يتخذ الليل جملاً لينصرف فليفعل ، فأبوا جميعاً . . .

وبزحفه بهذه المجموعة القليلة العدد العظيمة المعنى خاطب ربه داعياً « اللهم اني زاحف اليك بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر » ، وهو يعلم أن الله ناصره ، إن عاجلاً أو آجلاً ، تحقيقاً لكلامه تعالى ﴿ كم من فئة

قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ .

وقد كانت لديه مساواة في الإقدام ، كما كانت مساواة عندما زارهم عند مصارعهم إذ وقف عليهم واحداً واحداً .

يقف على مصرع ابنه علي الأكبر ويضع خده على خده ، ويقف على مصرع جون مولى أبي ذر ويضع خده على خده حتى ليعجب جون نفسه ويتشرف بذلك ، لكن الحسين (ع) مع المبدأ ، لايعرف بين قريب وبعيد ، وعنده لا يوجد شريف أو وضيع إلا بما يراه منه من حمل للرسالة أو مصداقية في الجهاد في سبيل الله وهو إن ساوى بينهما في التصرف ، فقد أكد مواساته لهما حتى آخر لحظة ووقوفه على المصارع أيضاً لتأكيد المظلومية في كل مرة . . .

منظر يهد الجبال توالي تهاوي جثث الأحباب والأصحاب على مرأى العين وكيف الحسين (ع) هو الأب والأخ والعم والصاحب والإمام والقائد ، والجثث أشلاء مبعثرة فهنا مقطوع الأكف وهنا مفصول الرأس وهنا طفل وهناك صبي . . .

منظر مع كل ما فيه من دماء يزيد من صلابة

الحسين (ع) ويشد العزيمة فها هو ينادي . . يا فرسان الهيجاء مالي إناديكم فلا تجيبون . . نداء تقريري والمصير مقرر ، لكنها رباطة الجأش وتمالك النفس والثقة بالعمل الصحيح ، لا إهتزاز ولا ضعف أمام الموقف ولا غرو فالنفس سامية نتيجة لسمو المعاني لاتتزعزع فيها أبداً . . . .

فهي نفس مطمئنة ترى الله وتعرفه حق العرفان ، فحتى لو كشف لها الغطاء لما زادت يقينا[1] ، وعميت عين لاتراك ـ يعني الله سبحانه ـ كما يعبر عنها (ع) . . هذه النفس المطمئنة هي التي تحمل الطفل على الذراعين مقتولاً ، وهي التي تقف على المصارع تتأسى على القوم الذين قتلوهم بأن يدخلوا النار بسببه[2] وهي ذات النفس التي تسمع صراخ الأطفال عطاشى وتعلم مصير الحريم ـ السبي ـ وهي لم تلن أو يعلوها الصدأ ففاضت الروح مصدقة قوله تعالى ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية** ﴾ .

هذه النفس المطمئنة أيضاً تميز أصحاب الحسين وأهل

---

(١) من معنى لكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) .

(٢) في حوار مع الحوراء زينب ليلة عاشوراء أخبرها الحسين (ع) بذلك .

بيته منهم قادمين الى رحاب الله سبحانه ، ولعل العباس بن علي رضوان الله عليه حين قطعوا يمينه[1] فأقسم أن يذب عن دينه بشماله حيث لم يعبأ بالجرح في موقف كهذا ، وأين منه ذلك الصبي الواثق بنفسه القاسم بن الحسن الذي أبى إلا أن يكون داخل المعركة منتعلاً وعزّ عليه أن يخلع النعال أثناءها فأخذ يصلح من شأنه في وقت حمي الوطيس فيه ؟

يوم عاشوراء يوم انتصر فيه الحق على الباطل ولم يكن الإنتصار بحز الرؤوس وإنما كان الإنتصار بإبقاء كلمة الله هي العليا . . .

وجاهد الإمام الحسين حق جهاده في بيان ذلك وأن تكون كل قطرة دم دليلاً وشاهداً حياً على هذا الجهاد . . .

فالطرفان غير متكافيء العدد والعدة ، وأيضاً غير متكافيء المبدأ والهدف فكانت كثرة القوم نبراس تعديهم ، وكانت قلة أصحاب الحسين (ع) نبراس إبائهم ، ومبدأ القوم إرضاء أميرهم وهدفهم جر الحسين (ع) لهذا المبدأ حياً طائعاً أو ميتاً مرفوعاً راسه على الرمح .

---

(١) تذكّر بطولة العباس ببطولة عمه جعفر الطيار في مؤتة .

ومبدأ الحسين إرضاء اللهتعالى وهدفه إعلاء « لا إله إلا الله » وإعادة الشريعة الى مسارها الصحيح ، ولو أدى ذلك الى بذل مهجته . . .

أراد الحسين (ع) أن يبين الظلم فكشف العيون عليه ، وأراد أن يبين الطريق السليم وأوضحه .

بذل الإمام الحسين (ع) كل غالٍ ونفيس وهل هناك أنفس من روحه ؟ والإمام الحسين (ع) شيخ في الخمسينات من عمره ناضج قدم على ذلك بكل معرفة ، لم يأخذه غرور الصبا وطيشان الشباب ، أقدم على ذلك في وقت كانت الأعناق تشرأب للنظر اليه ، والآذان صاغية الى حديثه في مسجد رسول الله (ص) وكأن على رؤسهم الطير وهو يتحدث ، أقدم على ذلك في وقت عرفت بسالته في الفتوحات واقدامه وصواب رأيه وحكمته ، أقدم على ذلك في وقت عرف أن لايداهن في الحق ولايقبل الزيف أو الخديعة . . أقدم على ذلك وهو شيخ عُرف في مصداقيته ونضجه ، وهو قدوة لذلك . . أقدم على ذلك لأنه يعلم أن لامحيص من أمر الله ومادام في رضا الله فأهلاً بذلك الأقدام . . .

وصبر الإمام على الحق لايثني عزيمته منع القوم له

ولعياله الماء . . وبكاء الأطفال وتأوه النساء وتكرار طلب الماء ، لم يتراجع بسبب مادي ولم يفقد صبره كل ذلك ، وذلك جانب من تضحيته فلو أن طفلاً بكى لهرع القاصون والدانون ليرضوا ذلك الطفل أليس « في كل كبد حرّى أجر » ؟ ولكن القوم لم يعبئوا بذلك وأصروا على موقفهم بمنع الماء حتى قدم لهم ابنه الرضيع بين ذراعيه ، فلم يكتفوا بعدم اعطاء شربة وإنما أشربوه كأس المنون بضربة من سهم ، فأمعنوا في الخسة والنذالة . . .

ودأب القوم على تصرفاتهم الخسيسة نسجل بعضاً منها مع الإحاطة بأن كل ذلك مجانب للطريق الاسلامي . . .

- محاولة الاعتداء على الحريم أثناء المعركة ، بل قد اعتدوا عليهم بعد أنتهاء المعركة بحرق الخيم والنهب وأخذهم سبايا .

- قتل الأطفال دون هوادة .

- الإجهاز على الجرحى .

- رفع الرؤوس على الرماح تشهيراً وأمام أهل بيت النبوة . . .

- رض الأجساد بسنابك الخيل . .

لقد أثبت الإمام الحسين أنه لابد من الوقوف أمام

الظلم وأنه لايمكن ذلك إلا ببذل المهجة ، وكل حركة تصحيحية لابد بها من تقديم شهداء فلن يتضح مسار الحركة إلا بقطرات نازفة من أجسادهم وهم يمثلون الحرية بكل معانيها ولتبقى حية بكونهم أحياء مصداقاً لقوله تعالى **﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾** .

فسلام الله عليك يا أبا الشهداء يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حياً وسلام الله عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك وعلى الذين استشهدوا بين يديك . . .

خاتمة

هذا هو الحسين طفلاً يرقى أكتاف جده رسول الله (ص) وشاباً يذود عن بيضة الإسلام مع والده . . .

وايضاً في الفتوحات الإسلامية . .

وشيخاً يكون دمه هو ثمن رفع كلمة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وأن تظل خفاقة الى يوم الدين .

وظل يومه ذاك مدرسة ينهل منها المتعطشون للحرية ودوام الكرامة وظل يومه معطاءاً للفكر الإنساني . . .

وبذا خلد الحسين في قلوب محبيه ومعاديه آية لاتنطفىء تضيء طريق الحق .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين .

الفهرس

اهـداء ٧

مقدمـة ٩

ينابيع المودة ١٣

بـدايات ١٨

يـزيـد ٢٠

الامام الحسين : لا للبيعة ٢٢

بين مكة وكربلاء ٢٧

على صعيد كربلاء ٣٦

اللقاء الأخير ٤٠

الملحمة والشهداء ٤٥

فصل جديد : المأساة في ذروتها ٥٢

خصائص المسيرة ٥٩

من صور التضحية ٦٦

تأملات في حركة الامام الحسين(ع) ٧٠

خاتمـة ٧٧